

العقدة الكبرى والعقد الصغرى الحلقة الأربعون

نواصل حديثنا مع عقدة العلاقة مع الدنيا:

وعليه فإن الدنيا لا تصلح أن تكون غاية ولا هدفاً، بل إن الغاية الحقيقية والهدف الأسمى هو ما يقتضيه الحلُّ الصحيح للعقدة الكبرى، وهو جعل الآخرة هي الهدف والغاية.

إن من جعل الدنيا غايته فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، وفي النهاية لا يأتيه من الدنيا إلا ما قسمه الله سبحانه له، ومن جعل الآخرة غايته وهدفه جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، وفاز في الآخرة برضوان الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت الدنيا نيته فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة).

وقد أمرنا باتقاء الدنيا، واتقاء ما فيها من فتنٍ، وبخاصة فتنة النساء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظروا ما تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء).

لقد ضرب الله سبحانه مثل الحياة الدنيا بالماء الذي أنزله الله سبحانه من السماء، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، فإذا تزيّنت الأرض واخضرت جاءها أمر الله ليلاً أو نهاراً، فجعلها حصيداً، وهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن يتفكّر، أي للعاقل، الذي يستخدم عقله، فيشاهد الواقع ويربطه بمعلوماته السابقة، ويرى هذه الحياة المتجددة على الأرض، ويرى أن الحياة كلها مثل حياة واحدة على الأرض، خلق فتموّ فهرمّ فموت، وهكذا الحياة الدنيا، يقول سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

فعقدة الدنيا تنشأ من خطأ النظرة إلى الدنيا، وينشأ عنها أمراض نفسية تقض مضجع الإنسان وتورثه، فيتفرق على الإنسان أمره، ولا يستطيع الإحاطة بأموره، وتتفلت منه واحدة بعد الأخرى، ويقضي جل وقته في ملمة أموره، وجمعها ليحسن السيطرة عليها، وأتى له ذلك، فإن الله تعالى فرّق عليه أمره لما جعل الدنيا نيته وأكبر همه.

ومهما امتلك هذا الإنسان صاحب العقدة فإنه سيبقى يرى نفسه فقيراً، مهما أوتي من مالٍ ومهما أوتي من متاع الدنيا، ذلك أن الله تعالى جعل فقره بين عينيه لما جعل الدنيا نيته وأكبر همه. ومهما سعى وجدّ واجتهد في دنياه فإنه لن يصيبه إلا ما كتب له، ولن يناله إلا ما قسمه الله سبحانه له، ولكنه يبوء بغضب الله تعالى، إذ صرف همه في الدنيا يجمعها للهلاك والوبار. ومن الوبال الشديد على البشرية اليوم المبدأ الرأسماليّ، الذي صرف الإنسان عن الحلّ الحقيقيّ الصحيح للعقدة الكبرى، فجعل جلّ الاهتمام للدنيا وشهواتها وملذاتها، وجعل الدنيا محلّ اقتتال وخصام بين البشر، أفسد الناس وأفسد العلاقات بين الناس، ولخصّ علاقاتهم بما يحققه كل منهم من مصلحة من الآخر، وصارت أهمية الإنسان بقدر ما يملك من هذه الدنيا، فمن ملك الكثير ارتفعت قيمته، ومن لم يملك إلا القليل قلت قيمته، حتى إن الإنسان صار سلعةً من السلع يتاجر بها أصحاب رؤوس الأموال، ويتحكمون في البشر، وفي أرزاق البشر. أنتج هذا المبدأ أمراضاً نفسيةً لم تشهدا البشرية من قبل، جرد الإنسان من إنسانيته، وأفقده كرامته التي أكرمها الله سبحانه وتعالى بها، أكرمه بأن جعله عبداً له، لكن الرأسمالية أهانتها وأذلتها لما صنعت منه إلهاً يقضي ويحكم بما يوحيه إليه شيطانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كتبها لإذاعة المكتب الإعلامي لحزب التحرير

أبو محمد - خليفة محمد - الأردن